İSTANBUL ÜNİVERSİTESİ EDEBİYAT FAKÜLTESİ YAYINLARI
PUBLICATIONS OF THE FACULTY OF LETTERS, ISTANBUL UNIVERSITY

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi
11 AĞUSTOS 1988

İSLÂM TETKİKLERİ ENSTİTÜSÜ DERGİSİ

(REVIEW OF THE INSTITUTE OF ISLAMIC STUDIES)

Kurucusu :
Ord. Prof. Dr. Z.V. Togan

Müdür — Editor
Prof. Dr. Salih TUĞ

7-8

CİLD — VOLUME : VII
CÜZ — PARTS : 1 - 2
1978

Edebiyat Fakültesi Basımevi
İSTANBUL
1978

فتح الاندلس (اسپانيا) فى خلافة سيدنا عثمان سنة ٢٧ للهجرة

(محمد حميدالله)

جرى على ألسنة العوام أن المسلمين فتحوا الاندلس فى سنة ٩٢ للهجرة فى زمن الخليفة عبدالملك بن مروان الاموى و أن طارق (الذى أعطى اسمه لجبل طارق « Gibraltar » وموسى بن نصير هما اللذان توليا أمره ولكن الحقيقة أن جنود المسلمين دخلوا فى الاندلس قبل ذلك بطويل، فى السنة ٢٧ هـ. و بقوا هنالك ولم يخرجوا الى مجيء طارق.

و قبل ان نعطى التفاصل و ننقل الوثائق اللازمة ، لابد أن نذكر الوجوه و الأسباب حسب الامكان، على أساس المعلومات التاريخية، لهذه الحروب و الفتوح .

بدء الصلات مع اوروبا :

بدأ صلات الاسلام مع أوروبا منذ العصر النبوى فكتب الى هرقل امبراطور بيزنطة فى ابتداء السنة ٧ هـ. مكتوبا يدعوه الى الاسلام ولم يرد به الا الخير له و السلم معه (١) وكان هرقل حينئذ فى آسيا فتلقى السفير فى القدس (Aelia) . و لو كان فى اوروبا، لذهب السفير الى العاصمة فى اوروبا . و لما يئس النبي عليه السلام من اسلام الامبراطور ، كتب الى من دونه من كبار الولاة والموظفين، خاصة من العرب. و لما أسلم فروة بن عمرو عامل معان (وكان قبل نصرانيا) قتله هرقل و صلبه . و لما قتل أمير غسان (فى دمشق) سفير النبي عليه السلام خلاف جميع الحقوق الدولية والدبلوماطيقية و ارسل النبي عليه السلام جيشا للتأديب لم يتدخل الامبراطور الا للشر . فبدل أن يعاقب أمير غسان ،

(١) راجع للتفاصيل مقالتى:

La lettre du prophete à Heraclius et le sort de l'original (cf. Arabica, Paris, 1955).

ومنذ نشر هذه المقالة عثروا على اصل المكتوب النبوى وهو الآن محفوظ فى عمان (اردن) .

أرسل مائة ألف من العساكر (التى كان جمعها للقتال معايران) لصيانته وصيانة الحدود. و لقى المسلمين فى مؤتة (أردن) وكان سببا للخسائر . فذهب النبى عليه السلام بنفسه الى تبوك (سنة ٩ هـ.) وكتب مرة اخرى الى الامبراطور يدعوه الى الاسلام و المصالحة و زاد : « ... والا فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام ان يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية» (راجع كتاب الاموال لابى عبيد، رقم ٥٥). ولكن لم يقبله الامبراطور.

مضى سنة و نصف بين غزوة تبوك و وفاة النبى عليه السلام و لم تزد العلائق بين الاسلام والبيزنطينيين الا توترا بحيث جمع النبى عليه السلام جيشا جديدا وأمر على فراش الموت ارساله الى بلاد غسان فى الفور. و أول شىء فعله أبو بكر كالخليفة كان ارساله هذا الجيش تحت اسامة بن زيد للتأديب. كان من المحتمل أن تبقى هذه السرية حادثة محلية لو سكت الامبراطور . و يظهر أنه لم يفعل ذلك ، بل غضب و جمع الجنود على الحدود وكأنه بدء الغارات فى ديار الاسلام. فأرسل أبوبكر رضى‌الله‌عنه جيشا جديدا ففتح كالبرق الخاطف بلدة قيصارية (فى فلسطين) ولكن لم يرد مع ذلك الحرب، فأرسل سفارة الى هرقل (٢) ـ وكأنهم أول من وطأ أرض اوروبا من المسلمين ـ ففاوضوا مع الامبراطور فى القسطنطنية لتحسين الروابط والصلح . ولكن لم يتيسر . و تقدمت جيوش الاسلام فى فلسطين وحاصرت دمشق عندما توفى أبوبكر فى السنة ١٣ هـ. و كما ذكر المستشرق الولنديزى دخويه de Goeje فى كتابه Memoire sur La Conquête de la Syrie أن رعايا البيزنطينيين النصارى استقبلوا جيوش الاسلام لا كالفاتحين بل كالمنقذين من ظلم الامبراطور. وكما لاحظ هنرى لامنس Henri Lammens فى دائرة المعارف الاسلامية مادة « سوريا » لم يحتج المسلمون أن يحاربوا بل استولوا على جميع سوريا فى تنزه عسكرى (Promenade militaire :)

خلافة عثمان :

ان الخليفة عمر رضى‌الله عنه حاول أيضا الصلح و كان كثيرا ما يقول : لو كان بينى

(٢) راجع للتفاصيل مقالتى :

Une ambassade du calife Abu Bakr aupres de l'empereur Heraclius et le livre byzantin de la prediction des destinées (cf. Folia Orientalia, Krakov/Pologne, 1961).

و الوثائق عن صور الانبياء التى ذكرت فى هذه المقالة عن الدينورى و الذهبى ذكرها ابن الجوزى فى الوفاء بأحوال المصطفى (ص ٧٢٧ ـ ٧٣١) عن موسى بن عقبة أيضا . و يزيد ، أنه وقع مثله لدحية سفير النبى عليه السلام أيضا و رأى تلك الصور وفيها صورة نبى الاسلام عليه السلام أيضا (راجع ابن الجوزى ص ٧٢٦).

و بينهم جدار من نار (أى فلا يصلون الينا ولا نصل اليهم و يعيش كل واحد فى أمن وسلامة) . ولكن لم يرد الامبراطور ذلك. و دامت الحرب فى عصره و عصر سيدنا عثمان فتمكنوا من استنقاذ مصر و سوريا و أرمينيا وغير ذلك من جور البيزنطيين .

ولا بأس أن أزيد ههنا (على أساس ما ذكره القسطلانى فى كتابه ارشاد السارى شرح صحيح البخارى، ج٧، ص ٤٤٨) أن عساكر المسلمين لما كانوا فى جوار ارض روم (أرزن روم، كما ذكره) حدث اختلاف شديد بين المسلمين فى قراءة بعض آيات القرآن فلما أخبر قائد الجيش الخليفة عثمان به ، أمر بتدوين القرآن ونشره. وهكذا يكون أحيانا نتيجة الشر خيراً اذا اراداللّه .

اكره المسلمون أن يحاربوا فى نفس الوقت مع كبرى العالم: الروم و الفرس وانتهى أمر الفرس بسهولة و سرعة وبدأ مجوس ايران يعتنقون الاسلام يوما فيوما . أما الروم مع شدة هزيمتهم فى آسيا وافريقيا و جزائرهما، لم يزالوا يستعدون للقتال ويحاربون المسلمين بدل أن يصالحوا صلحا. فكما قبض المسلمون المدائن، (عاصمة الفرس) كالبرق الخاطف، أراد سيدنا عثمان أن يستولى على القسطنطينية أيضا، حتى تنتهى الحرب فيأمن الناس. و لذلك أمر من جهة والى سوريا أن يرسل جيشا الى عاصمة بيزنطة من بر وبحر وكان قد قبض على قبرس قبل هذا. وأمر من جهة اخرى والى افريقية (تونس) أن يدخل فى الاندلس و يسافر من هناك برا الى القسطنطينية فيلتقى الجيشان السورى والتونسى فى عاصمة الروم.

نجح المحاولة جزئياً ، و دخل المسلمون فى ٢٧ هـ. فى «الاندلس و الافرنجة» كما سنذكر فيما يلى ، و لم يسافر الجيش السورى الا فى سنة ٣٢، ثم مرة ثانية فى خلافة سيدنا معاوية تحت قيادة ابنه يزيد. وكان اشترك فيه سيدنا أبو أيوب الانصارى (Eyüp Sultan) أيضا .

ان فتح الاندلس فى سنة ٢٧ لايعرفه عوام الناس حتى نسيه المسلمون أيضا. ولذلك لابأس بأن نذكرهم و ننقل الوثائق ، والمستندات اللازمة :

فتح اندلس فى زمن عثمان رضى اللّه عنه

(١) تاريخ الطبرى، وقائع سنة ٢٧، ص ٢٨١٧ من طبعة ليدن): «لما ولى عثمان ...

(١) يعنى شمالى افريقا من برقة الى طنجة (راجع ياقوت والبكرى).

أمر العبدين (عبدالله بن نافع بن عبدالقيس ، و عبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين) على الجند و رمأهما بالرجال. و سرحها الى الاندلس. و امرهما و عبدالله بن سعد بالاجتماع على الأجل... وأرسل عثمان عبدالله بن نافع الحصين وعبدالله بن نافع بن عبدالقيس من فورهما ذلك من افريقية (١) الى الأندلس فأتيا من قبل البحر. و كتب عثمان الى من انتدب من أهل الاندلس (كذا) :

«أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس وانكم ان افتتحتموها (اى الاندلس) كنتم شركاء من يفتحها (أى القسطنطينية) فى الاجر . والسلام» .

فخرجوا و معهم البربر، من برها و بحرها . ففتحها الله على المسلمين و افرنجة ، و ازدادوا فى سلطان المسلمين مثل افريقية . فلما عزل عثمان عبدالله بن سعد بن ابى شرح ، صرف الى عمله (اى ولاية افريقية والاندلس) عبدالله بن نافع بن عبدالقيس . و كان عليها . و رجع عبدالله بن سعد الى مصر . ولم يزل أمر الاندلس كأمر افريقية حتى كان زمان هشام. فمنع البربر أرضهم. و بقى من فى الاندلس على حاله .

(٢) الكامل لابن الاثير فى احوال السنة ٢٧ (ج٣، ص ٧٢): «لما افتتحت افريقية أمر عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين، وعبدالله بن نافع بن عبدالقيس أن يسيرا الى الاندلس فأتيا من قبل البحر، و كتب عثمان الى من انتدب معهما :

« اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس. و انكم ان افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها (أى القسطنطينية) فى الاجر. والسلام ».

فخرجوا ومعهم البربر، فأتوها من برها وبحرها. ففتح الله على المسلمين وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية . و لما عزل عثمان عبدالله بن سعد عن افريقية، ترك فى عمله عبدالله بن نافع بن عبدالقيس فكان عليها و رجع عبدالله (بن سعد) الى مصر» .

(٣) تاريخ أبو الفداء (ج ١، ص ٢٦٢): «وفى أيام عثمان فتحت افريقية. وكان المتولى لذلك عبدالله بن سعد بن أبى شرح المذكور. و بعث بالخميس (؟بالخمس) الى عثمان . فاشتراه مروان بن الحكم بخمس مائة ألف دينار . فوضعها عنه عثمان . و هذا من الامور التى أنكرت عليه (على عثمان) . و لما فتحت افريقية أمر عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين أن يسير الى جهة الاندلس. فغزا تلك الجهة . و عاد عبدالله بن نافع الى افريقية فأقام بها من جهة عثمان و رجع عبدالله بن سعد الى مصر» .

(١) يعنى شمالى افريقا من برقة الى طنجه (راجع ياقوت والبكرى)

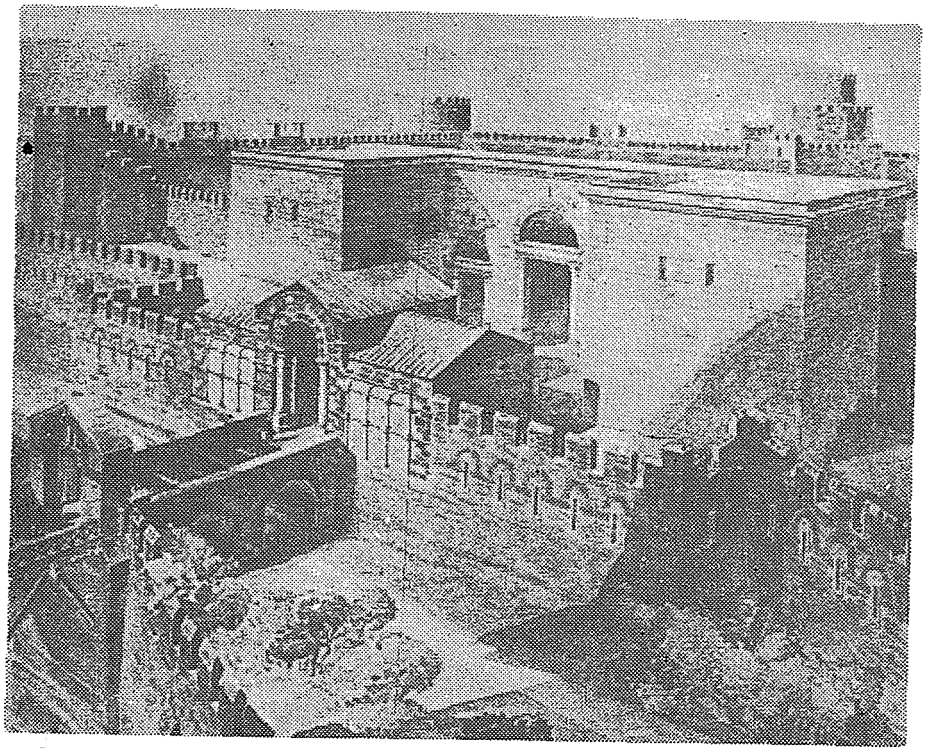

الباب الذهبي الملكي بالاصوار القسطنطنية

(٤) تاريخ الاسلام الكبير للذهبى (طبع مصر سنة ١٣٦٨ هـ) احوال سنة ٢٧، (ج ٢ ص ٨٠) : « روى سيف بن عمر من أشياخه أن عثمان أرسل عبدالله بن نافع بن الحصين وعبدالله بن نافع (بن عبدالقيس) الفهرى من فورها الى الاندلس. فأتيا من قبل البحر. وكتب عثمان الى من انتدب الى الاندلس :

« أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس و انكم ان افتتحتموها كنتم شركاء فى فتحها و الاجر والسلامة » .

و عن كعب (الاحبار) قال : « يعبر البحر الى الاندلس أقوام يفتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة» قال : فخرجوا اليها فاتوها من برها و بحرها ففتحها الله على المسلمين و زاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية . ولم يزل أمراء ؟ (أمر) الاندلس كأمراء (؟أمر) افريقية حتى أمر هشام. فمنع البربر ارضهم » .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (ج٨، ص ١٥٢): « لما افتتحت افريقية بعث عثمان الى عبدالله بن نافع بن عبدالقيس ، و عبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورها الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى الذين خرجوا اليها يقول: «ان القسطنطينية انما تفتح من قبل البحر و أنتم اذا فتحتم الاندلس فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية فى الاجر آخر الزمان والسلام » قال فساروا اليها فافتتحوها ولله الحمد والمنة .

(٦) ذكره زيني دحلان فى كتابه الفتوحات الاسلامية (ج١، ص ١٠٠) عن المصادر القديمة .

(٧) ذكره Gibbon فى كتابه Decline and Fall of the Roman Empire طبعة Oxford Univ. Press ج ٥ ، ص ٥٥٥ عن أبى الفداء و لكن غير عبارة ابى الفداء و بدل « الفتح » قال « غارة » أى لم يبق المسلمون فى الاندلس .

فنرى من هذه الاقتباسات ان هناك اجماعا بين مورخى الاسلام على فتح قسم من الاندلس و ديار الافرنج فى السنة ٢٧ هـ فى خلافة سيدنا عثمان و أن المسلمين بقوا هناك ولم يزالوا الى أن جاء جيش طارق و كمل الفتح .

— ÖZET —

Bugüne kadar Endülüs'ün müslümanlar tarafından ilk defa Halife 'Abd'ul-melik b. Mervān zamanında H. 92 yılında Muṣā b. Nuṣayr ve Tārıq b. Ziyād tarafından fethedildiği bilinmekteydi. Bu makalede yazar Dr. Hamidullah, Endülüs'e müslümanların bu tarihten çok önce, Halîfe Osman zamanında H. 27 yılında girdiği ve bu müslümanların burada, Emevîler zamanında gerçekleşen nihâî Fethe kadar Endülüs'te kaldıklarını anlatmaktadır.

Makalede, önce Peygamber, Halîfe Ebū Bekir ve 'Ömer zamanında Bizanslılarla müslümanlar arasındaki münasebetlerden bahsedilmekte sonra, Halîfe 'Oṣmān devrine gelinmekte ve özetle şu bilgiler verilmektedir : Halîfe 'Oṣmān, İran İmparatorluğunun kısa zamanda Müslümanlara boyun eğmesine karşılık, Bizans İmparatorluğunun uğradığı çeşitli askerî-siyâsî bozgunlara rağmen direnmesi ve müslümanlar için devamlı bir problem olması karşısında bir taraftan Suriye vâlisini Anadolu üzerinden, diğer taraftan Afrika vâlisini Endülüs üzerinden Bizans'ı sıkıştırmakla vazifelendirdi. Bununla Halîfe 'Oṣmān, Bizans Devletinin başkenti Kostantiniyye'nin hem doğudan hem batıdan sıkıştırılarak düşürülmesini ve böylece müslümanların bu dâimî Bizans gâilesinden kurtulmalarını arzu etmişti. İşte Endülüsün bu ilk Fetih teşebbüsü üzerine müslüman orduları, Emevîlerden çok önce H. 27 yılında Endülüs'e girmişlerdir. Klasik devirden gelen tarihî kaynaklar, sonraları her nedense unutulan bu Fetih konusu üzerinde açıkca durmuşlardı. Makalede Halîfe 'Oṣmān'ın Endülüs'e sefere çıkan bu ordunun kumandanlarına yazmış olduğu mektuptan bahsedilmekte ve Ṭabarī, İbn Keṣīr, Ebū'l-Fidā, Ẕehebī, İbn'ül-Eṣīr, Ẓeynî Daḥlān'ın bu konuda eserlerinde verdikleri bilgiler, Batı'da aynı konuda yapılan çalışmalarla mukayeseli bir biçimde verilmektedir.

Y. K.